عيسى فرج

أغنية الحب الآتي

تأتينَ عَبْرَ الدمعِ أغنيةً نبيذاً
مثلَ طعمِ القُبلةِ الأولى
كزيتٍ من عصيرِ الشمسِ
كالصبحِ الذي يبقى
يلوّنُ حبةَ القمحِ الصغيرةَ
يستردُّ منارةَ اللهبِ المقدّسِ
شكلَ أشجارِ الصنوبرِ
لحنَ أحزانِ السواقي
والمواويلِ التي ترتاحُ فوقَ العشبِ
والطَلِّ الذي ينسابُ مثلَ الشوقِ
في فرحِ الربيعْ

***

تأتينَ عبرَ الريحِ ألحاناً وخبزاً
غيمةً خضراءَ، وهجاً من غبارِ الطَلْعِ
بَوحَ حمامةٍ
ولعاً من الحبِ، اشتياقاً، رعشةً
سفراً إلى المجهولِ
أفراحاً وحزناً
دفقةَ الأملِ المخبّإِ في بقايا الفجرِ
الوانَ العذارى
رحلةَ النسيانِ.. أوجاعَ الهوى
انغامَ رائحةِ المطرْ

***

تأتينَ عبرَ القلبِ عاشقةً
وتنهارُ الحواجرُ.. تلتقي الأيدي
ويحترقُ الصقيعُ على الشفاهِ
وتزهرُ القبلُ الجميلةُ
يختفي الوحلُ المذلُ
ويستفيقُ الدفءُ.. ترتعشُ الحياةُ
يصفّقُ الزمنُ الذي يأتي
رحيقاً.. قبلةً بيضاءَ
عاريةً من الزيفِ المدنّسِ
والرياءْ

***

تأتينَ عبرَ الموجِ حافيةً
ملوّحةً بنورِ الفجرِ
تنتشرينَ في رحمِ الصخورِ
تنظّفينَ الشاطئَ المملوءَ بالأقذارِ
تلتقطينَ أوجاعَ الرمالِ
وكفُّكِ الممدودةُ الملأى بحُبِّ البحرِ
تمسح أدْمُعَ الباكينَ
تزرعُ حبةَ الملحِ الندية في العيونِ
تطهرُ الضعفاءَ
تقتلعُ الطحالبَ، من صدورِ الخائفينْ

***

عودي إلينا، دوحةً في الجردِ
عرسَ سنابلٍ خضراءَ
تملأُ بيتنا، فرحاً ودفئاً

لقّحي أزهارنا الصفراءَ
ردّي لونَها
مدّي يديكِ إلى الجذورِ
وعمّديها، واسكبي ماءَ الحياةِ
وطمئني النحلاتِ
أنّ رحيقَها المسروقَ، آتٍ
علّميها
كيف تحمي شَهْدَها
وتصيحُ في وجهِ اللصوصِ
تثورُ، تطلقُ نصلَها المسمومَ
أيامَ الحصادْ

***

ردّي الجَناحَ
إلى الفراشاتِ التي غابتْ
طويلاً
وامسحي الجُرحَ المندّى
فوقَ هامتِها
فشقُّ النورِ يُقبلُ من بعيدٍ
والخفافيشُ التي اختبأتْ
ستظهرُ
ترتمي هلعاً
ويُحرقُها الضياءْ

***

محبوبتي، قلبي ولوني
لحنَ أوتاري، وذاكرتي
صباحي عندما يأتي المساءُ المرُّ
صوتي حينَ تُقتلعُ الحناجرُ
خَمرتي يومَ الكرومِ تضيعُ
في بطنِ الثعالبِ، والنواطيرِ الذئابِ
وينبتُ الصبّارُ في حقلي
ويختنق الغناءْ

***

يا حبّي الآتي وصحوي
عندما أغفو على ريشِ النعامِ
وأنتشي
وأطيرُ، يحملني بساطُ الريحِ
أنسى
أنني طينٌ جُبلتُ من الترابْ

***

عودي لنا أحبيبتي
عودي هواءً ينعشُ الأنفاسَ
أو عودي لهيباً.. شوكةً صمّاءَ
تغرزُ في الجباهِ
لَعلّنا
نتذكّرُ الآلامَ في أفراحِنا
والقيدَ في تَرحالِنا
والجوعَ
في الترفِ المكدّسِ
في موائدنا

***

عودي إلينا علقماً
فأساً تمزّقُ جلدَنا
حجراً يحطّمُ عظمَنا
فلربما، قد نستحي
نَحْني رؤوسَ الذُّلِّ
نخجلُ
نطردُ الأشباحَ من أجسادِنا
نصير مقالعاً، غضباً
سهاماً مُرّةً
نبني قِلاعاً من كرامتِنا
ونحمي خبزَنا المسروقَ
نُعملُ سوطَنا المصنوعَ من وترِ القلوبِ
من المحبةِ
من دموعِ الصامدينْ

***

يا حلوتي
عودي إلينا
قد نسينا الحُبَّ والأشواقَ
اتركينا في بحارِ الملحِ، نغرقُ
ندفنُ الصدأَ المعمّرَ في حنايانا
ونَبرأُ
ثم عودي
واعشقينا

دمشق